سُلطانُ اللهِ جلَّ جلالُهُ..
والحكمُ الثيوقراطي

أحمد طه



30 – 05 – 1440 هـ | 05 – 02 – 2019 م

"عِبادةُ الظالمين" بدعة خطيرة تلبس بها أقوام من أهل الإسلام! ولكن هذه البدعة لم يتلبسوا بها لعلة في فهم الإسلام أو استشكال أمر عليهم.. فالإسلام دين الحرية؛ جاء ليحرر الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام..

فكيف يدعو إلى عبادة – أي عبادة – لغير الله، ثم هي بعد ذلك دعوة للظالمين؟!

لقد كان هؤلاء المبتدعة يرجون ما عند الملوك من (الشرف والرياسة والمال)، وكانوا يرون مصير القائلين بالحق مصلوبين على أعواد المشانق، فلا يقررون – كما هي الطبيعة السوية – إسقاط شرعية هذا الباطل والظلم، وإنما التماهي معه، والمسارعة فيه؛ فتكَون لديهم حالة مَرضية من الخوف الهستيري من الظالمين! وأصبحوا مفتونين بقوة الظالمين، وطغيانهم.. فأخرجوا – رغم انتمائهم للإسلام، وربما تدينهم كذلك ! – حالة من "عبادة الطاغوت" وأصبحوا كالباباوات في عصور أوروبا المظلمة، يمارسون "محاكم التفتيش" ضد من يسقط شرعية باطل الطغاة أو باطلهم!

وقد وجد الطغاة والبغاة فيمن يعبدونهم – مع الله – أداة عظيمة لفتنة الناس عن دينها والتخلي عن كرامتها، واستلاب حريتها، وسرقة ثرواتها، فجعلوا هؤلاء المرضى على رؤوس الناس؛ ليكونوا دجاجلة لحكمهم الجبري، ويجعلوا لهم شرعية إسلامية! لا تأتي أبداً إلا على طريقة وتهوك يهود في: تحريف الكِلم عن مواضعه، والاستهانة بالمنكر والظلم، والاستبكار عن سماع الحق، والمسارعة في قتل أهل التقى، ثم يقولون: "سيُغفر لنا!"

وأما تعريف كلمة "الحكم الثيوقراطي":

فكلمة (ثيوقراطية) مكونة من كلمتين يونانيتين وهما: (Theos) وتعني الله أو الدين، و (Kratia) وتعني السلطة، ف "الحكم الثيوقراطي" يعني: أن الملوك يستمدون شرعيتهم وسلطانهم من الله (إما مباشرة أو عن طريق الكاهن)، وهم فوق النقد والمحاسبة والعزل، ولهم حق السمع والطاعة المطلقة! لأنهم يتصرفون من منطلقات غيبية ليس للإنسان أن يُدركها أو يعترض عليها! ويتم تقاسم وتزواج السلطة فيه بين طبقة الملوك، وطبقة الكهنوت الديني التي تحتكر حق الحديث عن الدين وتفسيره، وفق أهوائهم، وأهواء الملوك، فطبقة

تستبد بأرواح الجماهير وقلوبهم، وطبقة تستعبد أجسادهم ومقومات حياتهم.. ولقد جاء الإسلام ليُحرر الجميع من تلك العبودية، وهذه الأغلال.

والفرق بين هذا الحكم.. و(الشورى الإسلامية – الحكم الإسلامي) يعني:

أن الأمة هي "مصدر السلطة" وهي تمنحها للأجير الأجدر والأصلح لإدارة شؤونها وخلافتها بالحق والعدل والرشد عن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ و "المبادئ الإسلامية" فوق الحاكم والمحكوم ولها السيادة التامة، فالسلطة للأمة، والسيادة للكتاب..

وهي بذلك تختلف عن "**الديمقراطية الغربية**" التي تجعل (السلطة والسيادة) للشعب أو الأحزاب**!** وهي ضد "الثيوقراطية"، وانتهت أيضاً إلى سيطرة الشركات العملاقة على العقول والأبدان، تحت شعارات براقة من: الليبرالية، والسوق الحر، والحرية، وحقوق الإنسان...إلخ. وتم تسليع كل شيء لخدمة الشركات العملاقة التي صارت تتحكم في الحكومات والأحزاب**!** وتحتكر وسائل الإعلام، وأدوات التوجيه والتأثير، والنفوذ في كافة المؤسسات**!** كما اتخذتها الدول الكبرى ذريعة للهيمنة الاقتصادية والسياسية على الدول الضعيفة. ولقد جاء الإسلام أيضاً ليُحرر الجميع من تلك العبودية، وهذه الأغلال.

ومن باطل عبدة الظالمين هذا – في محاولة خلق شرعية إسلامية للطغاة والجبابرة – تحريف الكلم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[النساء (59)]. وأما في الأحاديث النبوية الشريفة: "وإن ضرب ظهرك"، و"إلا أن تروا كفراً بوحاً". وقد سبق مناقشة معنى هذه الأحاديث وسياقها في مقالي: "وإن ضرب ظهرك" و"منازعة أولي الأمر".

وهذا المقال لمناقشة حديث: "السلطان ظل الله في الأرض**!**" إذ يستخدمه الدجاجلة أيضاً في الدفاع عن أربابهم.

***

روايات الحديث:

أولاً: الروايات التي تُفسر معنى "سلطان الله" بأنه الحاكم أو أمير البلدة

في جامع الترمذي: عَنْ زِيَادِ بْنِ كُسَيْبٍ الْعَدَوِيِّ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَبِي بَكْرَةَ تَحْتَ مِنْبَرِ ابْنِ عَامِرٍ، وَهُوَ يَخْطُبُ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ رِقَاقٌ، فَقَالَ أَبُو بِلَالٍ: انْظُرُوا إِلَى أَمِيرِنَا يَلْبَسُ ثِيَابَ الْفُسَّاقِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " **مَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ أَهَانَهُ اللَّهُ** "، قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ[1]

وفي مسند أحمد: عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "**مَنْ أَكْرَمَ سُلْطَانَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا، أَكْرَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا، أَهَانَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** "[2]

وفي السنة لابن أبي عاصم: عَنْ زِيَادِ بْنِ كُسَيْبٍ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "**السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي الأَرْضِ، فَمَنْ أَكْرَمَهُ أَكْرَمَ اللَّهَ، وَمَنْ أَهَانَهُ أَهَانَهُ اللَّهُ**"[3]

وفي سنن البيهقي: عَنْ زِيَادِ بْنِ كُسَيْبٍ الْعَدَوِيِّ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ يَخْطُبُ النَّاسَ عَلَيْهِ ثِيَابٌ رَقِيقٌ مُرَجِّلٌ شَعْرَهُ، قَالَ: فَصَلَّى يَوْمًا ثُمَّ دَخَلَ، قَالَ: وَأَبُو بَكْرَةٍ جَالِسٌ إِلَى جَنْبِ الْمِنْبَرِ، فَقَالَ مِرْدَاسٌ أَبُو بِلالٍ: أَلا تَرَوْنَ إِلَى أَمِيرِ النَّاسِ وَسَيِّدِهِمْ يَلْبَسُ الرِّقَاقَ، وَيَتَشَبَّهُ بِالْفُسَّاقِ، فَسَمِعَهُ أَبُو بَكْرَةٍ، فَقَالَ لابْنِهِ الأُصَيْلِعِ: ادْعُ لِي أَبَا بِلالٍ، فَدَعَاهُ لَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرَةٍ: أَمَا إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكَ لِلأَمِيرِ آنِفًا، وَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " **مَنْ أَكْرَمَ سُلْطَانَ اللَّهِ أَكْرَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ أَهَانَهُ اللَّهُ**"[4]

وفي مسند أبي داود: عَنْ سَعْدِ بْنِ أَوْسٍ، عَنْ زِيَادِ بْنِ كُسَيْبٍ، قَالَ: خَرَجَ ابْنُ عَامِرٍ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ رِقَاقٌ، فَقَالَ أَبُو بِلالٍ: انْظُرُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ يَلْبَسُ لِبَاسَ الْفُسَّاقِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ مِنْ تَحْتِ الْمِنْبَرِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " **مَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ، أَهَانَهُ اللَّهُ** "[5]

---

(1) [جامع الترمذي/ 2224]

(2) [مسند أحمد/ 19919]

(3) [السنة لابن أبي عاصم/ 1024]

(4) [السنن الكبرى للبيهقي/ (8 : 162)]

(5) [مسند أبي داود/ 928]

الحكم على السند: إسناد ضعيف فيه (سعد بن أوس العدوي) وهو ضعيف الحديث، ضّعفه الذهبي، ويحيى بن معين، وما وثقه كبير أحد.

بينما قال فيه أبو حاتم الرازي: صالح. وأبو حاتم بن حبان: ذكره في الثقات. وابن حجر العسقلاني: صدوق له أغاليط.

وجميع طرق هذا الحديث تأتي من طريق: سعد بن أوس عن زياد بن كسيب عن نفيع بن مسروح "أبي بكرة"، وهو طريق ضعيف، لم ينجبر بأي طرق أخرى.

***

ومن الروايات الأخرى للحديث:

في ذيل تاريخ بغداد: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: "**السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي الأَرْضِ، يَأْوِي إِلَيْهِ الضَّعِيفُ، وَبِهِ يَنْتَصِرُ الْمَظْلُومُ، وَمَنْ أَكْرَمَ سُلْطَانَ اللَّهِ جَلَ جَلاُه فِي الدُّنْيَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**"[(1)]

الحكم على السند: إسناد شديد الضعف فيه عبيد الله بن المبارك الدقاق وهو متروك الحديث.

وفي فضيلة العادلين: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: "**السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَنْ نَصَحَهُ هُدِيَ، وَمَنْ غَشَّهُ ضَلَّ**"[(2)]

الحكم على السند: إسناد شديد الضعف فيه يحيى بن ميمون القرشي وهو متروك الحديث.

وفي سنن البيهقي: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قَالَ: "**إِذَا مَرَرْتَ بِبَلْدَةٍ لَيْسَ فِيهَا سُلْطَانٌ فَلا تَدْخُلْهَا، إِنَّمَا السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي الأَرْضِ، وَرُمْحُهُ فِي الأَرْضِ**"[(3)]

وفي العلل لابن أبي حاتم: عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: "**السِّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي الأَرْضِ**". قَالَ أَبِي: هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ، وَابْنُ أَبِي رُكْبَةَ مَجْهُولٌ[(4)]

---

(1) [ذيل تاريخ بغداد لابن النجار/ 41]

(2) [فضيلة العادلين لأبي نعيم/31]

(3) [السنن الكبرى للبيهقي/ (8 : 161)]

(4) [العلل لابن أبي حاتم/ 2735]

الحكم على السند: إسناد ضعيف فيه سعيد بن دينار الدمشقي وهو مجهول.

وفي السنة لابن أبي عاصم: عَنِ ابْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عُبَيْدَةَ: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "**لا تَسُبُّوا السُّلْطَانَ ؛ فَإِنَّهُ ظِلُّ اللَّهِ فِي الأَرْضِ** "[1]

الحكم على السند: إسناد شديد الضعف فيه عبد الله بن شبيب الربعي وهو متروك الحديث ، وإسماعيل بن رافع الأنصاري وهو متروك الحديث.

وفي مسند الشهاب: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "**السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي الأَرْضِ يَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مَظْلُومٍ** "[2]

الحكم على السند: إسناد فيه متهم بالوضع وهو سعيد بن سنان الحنفي.

***

ثانياً: الروايات التي تُفسر "سلطان الله" بأنه كتابه، وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

في المطالب العالية: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: "**مَنْ مَشَى إِلَى سُلْطَانِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الأَرْضِ لِيُذِلَّهُ، أَذَلَّ اللَّهُ رَقَبَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ مَا ذُخِرَ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ، وَسُلْطَانُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ: كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَسُنَّةُ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** "[3]

الحكم على السند: إسناد شديد الضعف فيه الحسين بن قيس الرحبي وهو متروك الحديث. وجميع طرق هذا الحديث أيضاً ضعيفة.

***

(1) [السنة لابن أبي عاصم/ 1013]

(2) [مسند الشهاب/ 304]

(3) [المطالب العالية لابن حجر/ 2933، المعجم الكبير للطبراني/11216]

الحكم على متن الحديث:

رأينا أن جميع طرق هذا الحديث ضعيفة، ومتروكة، ومجهولة، وفيها المتهم بالوضع.. ولا نشك أن هذا الحديث متنه "موضوع" سواء الروايات التي قالت: "من أكرم سلطان الله" أو التي قالت: "السلطان ظل الله في الأرض"، فهي روايات في خدمة الحُكام صُنعت من أجلهم لا من أجل الحق، ومناقضة لكتاب الله، وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولعل ضرر هذه الروايات جعلت مَن يَضع روايات أخرى تُبين أن سلطان الله هو: (كتابه وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ)، وتُرفع للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كما في رواية ابن عباس.. ولا شك أن المعنى صحيح ينطق به الكتاب والسنة، ولكن ربما الناس قديماً لا ترى قيمة لأي كلام إلا برفعه للنبي وجعله حديثاً لترد به على الخصوم!

فحقاً إن "سلطان الله" هو كتابه ووحيه إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.. فنجد هذا المعنى في العديد من آيات القرآن الكريم، مثل قوله تعالى:

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ۖ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران (151)].

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۚ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام (81)].

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۚ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [الأعراف (71)].

فآيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لها السلطة والسيادة في الأرض..

وورد معنى السلطان بالإذن للمسلمين بقمع الطغاة المعتدين على الحق المبين، وقد منحهم الله هذه الشرعية والسلطة على المعتدين عليهم، فقال سبحانه: ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ۚ فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ [النساء (91)].

وسلطان الله هو الحُجة البالغة على الجميع، والبرهان الساطع الدامغ، والدليل القاطع اليقيني. كمثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ [النساء (144)].

***

قال العلاّمة يوسف ابن عبد الهادي، ابن المِبْرَد الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (المتوفى: 909 هـ):

"والعجبُ من بعض المتفقِّهة الفَجَرة، يذكرون هذه الأحاديثَ [أحاديث فضل الإمام العادل] لكثير من الظَّلَمة ممن انغمس في الظلمِ، وعامَ فيه وسبح، وأخذَ أموال الناس من غير حِلِّها، وقتل النفسَ الحرامَ أكثرَ من ألفِ مرة بغير حق، واستحلَّ أموال الناس ودماءهم وأعراضَهم، ويُزَيِّنُ له أنه عادلٌ، ولولا أنت ولولا أنت؛ ليتوجَّه بذلك عندَه، وينفق سوقه، فلا كَثَّرَ الله في المسلمين من أمثالهم"

"فالعجبُ كلُّ العجب من كلبٍ نجس لا دينَ له ولا عقلَ، ومع ذلك يزعُم أنه فقيه، ويدخل علي الكفرة الظلمة الفجرة في القرن التاسع والعاشرِ، ويُزَيِّنُ لهم، ويُحَسِّنُ لهم أنهم علي العدل، وأنهم من العادلين، مع قتلِ النفس المحرمة، وعدمِ توقِّي دماء المسلمين وأموالِهم وأعراضِهم، ومع ذلك، منهم من يُزين لهم ذلك، وأنه خير، وأن بعض أئمة الإسلام أَباحَ قتلَ الثلثين في صلاح الثلث، ونحو ذلك، وكل ذلك زورٌ وبهتانٌ وافتراءٌ علي الأئمة، لا حقيقةَ له، ولا أصلَ، وقد عملتُ في ذلك مصنَّفًا، ومَنْ عنده إيمان ومعرفةٌ يعلم أنه لا يحلُّ قتلُ أدنى أدنى نفسٍ مسلمةٍ لصلاح أحدٍ، كائنًا مَنْ كان، ولو اجتمع أهلُ الأرض علي قتل نفس مسلمة بغير حق، أكبّهم الله به في نار جهنم."[1]

وقد أخطأ العلاّمة ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **حين قال:**

"وَأَمَّا الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ «السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، يَأْوِي إلَيْهِ كُلُّ ضَعِيفٍ وَمَلْهُوفٍ" وَهَذَا صَحِيحٌ، فَإِنَّ الظِّلَّ مُفْتَقِرٌ إلَى آوٍ، وَهُوَ رَفِيقٌ لَهُ مُطَابِقٌ لَهُ نَوْعًا مِنْ الْمُطَابَقَةِ، وَالْآوِي إلَى الظِّلِّ الْمُكْتَنِفُ بِالْمُظِلِّ صَاحِبِ الظِّلِّ، فَالسُّلْطَانُ عَبْدُ اللَّهِ، مَخْلُوقٌ، مُفْتَقِرٌ إلَيْهِ، لَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ؛ وَفِيهِ مِنْ الْقُدْرَةِ، وَالسُّلْطَانِ، وَالْحِفْظِ، وَالنُّصْرَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي السُّؤْدُدِ وَالصَّمَدِيَّةِ الَّتِي بِهَا قِوَامُ الْخَلْقِ مَا يُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ ظِلَّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ،

---

(1) [إيضاح طرق الإستقامة لابن عبدالهادي الحنبلي، ص123، ص127]

وَهُوَ أَقْوَى الْأَسْبَابِ الَّتِي بِهَا يُصْلِحُ أُمُورَ خَلْقِهِ وَعِبَادِهِ فَإِذَا صَلَحَ ذُو السُّلْطَانِ صَلَحَتْ أُمُورُ النَّاسِ، وَإِذَا فَسَدَ فَسَدَتْ بِحَسَبِ فَسَادِهِ؛ وَلَا تَفْسُدُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ؛ بَلْ لَا بُدَّ مِنْ مَصَالِحَ؛ إذْ هُوَ ظِلُّ اللَّهِ؛ لَكِنَّ الظِّلَّ تَارَةً يَكُونُ كَامِلًا مَانِعًا مِنْ جَمِيعِ الْأَذَى، وَتَارَةً لَا يَمْنَعُ إلَّا بَعْضَ الْأَذَى، وَأَمَّا إذَا عُدِمَ الظِّلُّ فَسَدَ الْأَمْرُ، كَعَدَمِ سِرِّ الرُّبُوبِيَّةِ الَّتِي بِهَا قِيَامُ الْأُمَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ. "[1]

فما بُني على خطأ – حيث الحديث غير صحيح – فهو خطأ، ولا معنى لهذه التأويلات البعيدة! ونرفض هذا الغلو في تفسير "ظل الله"! فابن تيمية لم يجعل "السلطان الصالح" ظل الله في الأرض فحسب، بل جعل "السلطان الفاسد" كذلك! وهذا تَفلسف مُوعوج لا قيمة له!

فالصلاح السياسي والاجتماعي للأمم علاقة بين الحاكم والمحكوم، ومنوط بمدى القيام بفضيلة "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".. وقد ينحرف ويفسد الحاكم، وتستطيع الأمة منعه، بقدر فاعليتها ويقظتها، واستقامتها على الحق والعدل، بل إن سنن التغيير للخير والشر منوطة بحال الأمم.

وقد أَحسن وأجاد العلاّمة ابن تيمية حين قال:

" فالواجب اتخاذ الأمارة ديناً وقربة يُتقرب بها إلى الله؛ فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات. وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرياسة أو المال بها، وقد روى كعب بن مالك {عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه} . قال الترمذي حديث حسن صحيح. فأخبر أن حرص المرء على المال والرياسة يُفسد دينه مثل أو أكثر من فساد الذئبين الجائعين لزريبة الغنم. وقد أخبر الله تعالى عن الذي يؤتى كتابه بشماله أنه يقول: {ما أغنى عني ماليه} {هلك عني سلطانيه} .

وغاية مريد الرياسة أن يكون كفرعون وجامع المال أن يكون كقارون وقد بين الله تعالى في كتابه حال فرعون وقارون فقال تعالى: {أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق} وقال تعالى: {تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين} .

(1) [مجموع الفتاوى، ج35، ص45]

فإن الناس أربعة أقسام:

القسم الأول: يريدون العلو على الناس والفساد في الأرض وهو معصية الله وهؤلاء الملوك والرؤساء المفسدون كفرعون وحزبه. وهؤلاء هم شرار الخلق. قال الله تعالى: {إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين} وروى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم {لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان فقال رجل يا رسول الله: إني أحب أن يكون ثوبي حسنا ونعلي حسنا. أفمن الكبر ذاك؟ قال: لا؛ إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس} فبطر الحق دفعه وجحده. وغمط الناس احتقارهم وازدراؤهم وهذا حال من يريد العلو والفساد.

والقسم الثاني: الذين يريدون الفساد بلا علو كالسراق والمجرمين من سفلة الناس.

والقسم الثالث: يريدون العلو بلا فساد، كالذين عندهم دين يريدون أن يعلوا به على غيرهم من الناس.[(1)]

وأما القسم الرابع: فهم أهل الجنة الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً مع أنهم قد يكونون أعلى من غيرهم كما قال الله تعالى: {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين} وقال تعالى: {فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم} وقال: {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين} .

فكم ممن يريد العلو ولا يزيده ذلك إلا سُفولا، وكم ممن جُعل من الأعلين وهو لا يريد العلو ولا الفساد؛ وذلك لأن إرادة العلو على الخلق ظلم؛ لأن الناس من جنس واحد فإرادة الإنسان أن يكون هو الأعلى ونظيره تحته.. ظلم، ومع أنه ظلم.. فالناس يبغضون من يكون كذلك ويعادونه؛ لأن العادل منهم لا يحب أن يكون مقهوراً لنظيره، وغير العادل منهم يؤثر أن يكون هو القاهر، ثم إنه مع هذا لا بد له – في العقل والدين – من أن يكون بعضهم فوق بعض كما قدمناه كما أن الجسد لا يصلح إلا برأس.

---

(1) [وهذا المعنى غير واضح، فما المقصود بـ "عندهم دين"؟ لأنه ذكر في القسم الرابع "أهل الإيمان الذين لا يُريدون علواً في الأرض ولا فسادا"، فالعلو والاستكبار في الأرض بغير الحق لا بد وأن يأتي بالوسائل الباطلة، وبالإفساد في الأرض، فالذين عندهم دين باطل – مثلاً – يستخدمون كل وسيلة خسيسة لنشره، ويُفسدون في الأرض. وأما علو المؤمنين المسلمين فليس هو علو الذات، إنما هو الاستعلاء الروحي بالإيمان على الجاهليات الأرضية.]

قال تعالى: {وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم} وقال تعالى: {نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا} . فجاءت الشريعة بصرف السلطان والمال في سبيل الله. فإذا كان المقصود بالسلطان والمال هو التقرب إلى الله وإنفاق ذلك في سبيله، كان ذلك صلاح الدين والدنيا. وإن انفرد السلطان عن الدين أو الدين عن السلطان.. فسدت أحوال الناس، وإنما يمتاز أهل طاعة الله عن أهل معصيته بالنية والعمل الصالح كما في الصحيحين {عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم} .

ولما غلب على كثير من ولاة الأمور إرادة المال والشرف.. صاروا بمعزل عن حقيقة الإيمان في ولايتهم: رأى كثير من الناس أن الإمارة تنافي الإيمان وكمال الدين. ثم منهم من غلب الدين وأعرض عما لا يتم الدين إلا به من ذلك. ومنهم من رأى حاجته إلى ذلك؛ فأخذه معرضاً عن الدين؛ لاعتقاده أنه مناف لذلك وصار الدين عنده في محل الرحمة والذل. لا في محل العلو والعز.

وكذلك لما غلب على كثير من أهل الدين العجز عن تكميل الدين والجزع لما قد يصيبهم في إقامته من البلاء: استضعف طريقتهم واستذلها من رأى أنه لا تقوم مصلحته ومصلحة غيره بها. وهاتان السبيلان الفاسدتان – **سبيل من انتسب إلى الدين ولم يكمله بما يحتاج إليه من السلطان والجهاد والمال، وسبيل من أقبل على السلطان والمال والحرب ولم يقصد بذلك إقامة الدين** – هما سبيل المغضوب عليهم والضالين. الأولى للضالين النصارى والثانية للمغضوب عليهم اليهود.

وإنما **الصراط المستقيم** صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.. هي سبيل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وسبيل خلفائه، وأصحابه، ومن سلك سبيلهم. وهم {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم} فالواجب على المسلم أن يجتهد في ذلك بحسب وسعه؛ فمن ولي ولاية يقصد بها طاعة الله وإقامة ما يمكنه من دينه ومصالح المسلمين، وأقام فيها ما يمكنه من الواجبات واجتناب ما يمكنه من المحرمات: لم يؤاخذ بما يعجز عنه؛ فإن تولية الأبرار خير للأمة من تولية الفجار."[1]

(1) [مجموع الفتاوى، ج28، ص391]

ضلالات تاريخية:

أولاً: نظرية الحكم الإلهي المقدس:

هي نظرية وثنية شركية جعلت من الحكام والملوك امتداداً للذات الإلهية على الأرض! سواء الامتداد عن طريق البنوة والدم، فقد جعلوا دماء الملوك دماءً ملكية مقدسة إلهية! أو امتداد المشيئة الإلهية المطلقة، وهم ممثلون لله في الأرض ونائبون عنه! لا يحق لأحد نقدهم أو معارضتهم أو محاسبتهم.. وقد استغلها الكهنة والسدنة قديماً في إضفاء الشرعية الدينية على الملوك، واستكملت الكنيسة – بعد انحرافها وتحريفها لكتابها – هذه النظرية، وجعلوا من الملوك ومن أنفسهم أرباباً من دون الله؛ ليأكلوا أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله..

جاء في الكتاب المقدس!:

"(1) لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة، لأنه ليس سلطان إلا من الله، والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله، (2) حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة. (3) فإن الحكام ليسوا خوفا للأعمال الصالحة بل للشريرة. أفتريد أن لا تخاف السلطان؟ إفعل الصلاح فيكون لك مدح منه، (4) لأنه خادم الله للصلاح! ولكن إن فعلت الشر فخف، لأنه لا يحمل السيف عبثاً، إذ هو خادم الله، منتقم للغضب من الذي يفعل الشر. (5) لذلك يلزم أن يخضع له، ليس بسبب الغضب فقط، بل أيضاً بسبب الضمير. (6) فإنكم لأجل هذا توفون الجزية أيضاً، إذ هم خدام الله مواظبون على ذلك بعينه. (7) فاعطوا الجميع حقوقهم: الجزية لمن له الجزية. الجباية لمن له الجباية. والخوف لمن له الخوف. والإكرام لمن له الإكرام".[1]

وقد سبقهم إلى هذه "الطاغوتية" الفراعنة، والهنود، والبابليون، والفرس، واليونان والبلدان الأسيوية من قبل، وقد اعتبروا أنفسهم – وأقرهم الناس على ذلك – أنهم آلهة الأرض، نيابة عن آلهة السماء!

---

(1) [رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية/ الإصحاح (13)]

وقال القديس جريجوري – St. Gregory(540 – 604م): "فما ينبغي أن تكون أعمال الحكام محلاً للطعن والتجريح بسيف اللسان، حتى لو ثبت أن هذه الأعمال تستحق اللوم. ومع ذلك فإن أقل ما ينبغي إذا انزلق اللسان إلى استنكار أعمالهم.. أن يتجه القلب في أسف وخشوع إلى الندم والاستغفار؛ التماساً لعفو السلطة العظمى التي ما كان الحاكم إلا ظلها على الأرض "(1)

وقال مارتن لوثر (1483 – 1546م): " ليس من الصواب بأي حال أن يقف أي مسيحي ضد حكومته، سواء أكانت أفعالها عادلة أم جائرة..

ليس ثمة أفعال أفضل من طاعة من هم رؤساؤنا وخدمتهم. ولهذا السبب أيضا فالعصيان خطيئة أكبر من القتل، والدنس، والسرقة، وخيانة الأمانة، وكل ما تشتمل عليه هذه الرذائل "(2)

وقال جيمس الأول ملك انجلترا: "إننا نحن الملوك، نجلس على عرش الله على الأرض".

وقال (لويس الرابع عشر) أحد ملوك فرنسا: "سلطة الملوك مستمدة من تفويض الخالق ، فالله مصدرها، وليس الشعب، والملوك مسؤولون أمام الله وحده عن كيفية استخدامها"(3)

فهذا "الضلال المُقدس" كان كالآصار الروحية، والأغلال الضاغطة على الجسد والروح والعقل، حتى تم التحرر منها بثورات تاريخية كبرى، لكنه كان تحرراً شديد الغلو، والتطرف، والإرهاب.. فانتقل على النقيض من ذلك يبحث عن التحرر من كل قيد، حتى ولو كان حقاً يضبط حركة الإنسان**!** فانتقل من عبادة الملوك والرهبان، إلى عبادة الذات وتقديس الإلحاد والإباحية والشذوذ، واتخذ ذلك ديناً جديداً، ومنهاجاً للحياة**!**

***

(1) [تطور الفكر السياسي، جورج سباين، الجزء الثاني]

(2) [المرجع السابق، الجزء الثالث]

(3) [كتاب الطاغية، د. إمام عبد الفتاح]

ثانياً: نظرية الحاكم بأمر الله:

وهي نظرية مخففة من نظرية الحكم الإلهي المقدس، انتشرت بين المسلمين في عصور الملك العضوض – لا سيما في العصر العباسي! – ربما بتأثيرات من الوثنية الفارسية الساسانية! وهي امتداد أيضاً لنظرية "**الجبر السياسية**" التي كانت في العصر الأموي!

وخلاصتها: إن الحاكم في ظلمه، وعدله، في حقه، وباطله، في تنصيبه، وعزله.. إنما هو قضاء الله الكوني، الذي لا دخل للبشر فيه بأي تأثير، لا على مستوى الاختيار، ولا على مستوى المحاسبة، فالحاكم يد القدرة الإلهية التي لا تُسأل عما تفعل، وهم يُسألون، ومن ثم فالاعتراض على الحاكم فضلاً عن الخروج عليه، هو اعتراض على القدر الإلهي، وهو فتنة عمياء صماء!

وكل ما فيه الناس من بلاء، فبسببهم هم لا بسبب حكامهم، وما عليهم إلا الصبر، أو إن شاءوا انتظروا المُخلص الملهم الذي سيملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً.

إضافة إلى اختلاق الأحاديث عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ في فضل كل قوم، وأحقيتهم بالخلافة.. كحق إلهي خالص لهم! بل في تفضيل كذلك عواصم دولهم! وجعلوا من الدين وسيلة للحصول على الدنيا!

وكل ذلك باطل لا أصل له، يتبين باطله حينما يُوضع في سياقه التاريخي، وفهم الملابسات التاريخية والصراعات السياسية.. والتي يحاول دجاجلة اليوم أن يُعيدوها في خدمة أربابهم من البشر.. ولن يعجز الدجاجلة تحريف الكلم لخدمة هذه النظرية، وتحريف فهم الأحاديث لتثبيت شرعية الدجل والباطل! وهؤلاء المرتزقة إنما يرتكبون عدة جرائم ومُوبقات:

الأولى: الطعن في الدين، والصد عن سبيل الله.

الثانية: شرعنة الباطل والظلم والعدوان.

الثالثة: تعبيد الناس لغير الله، وإفساد تصوراتهم بزخرف القول، والدجل وتمويه الحقائق.

***

نماذج من الباطل:

يقول الشيخ الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "عن عمر بن عبسة قال: صلى بنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إلى بعير من المغنم. فلما صلى أخذ وبرة من جنب البعير ثم قال: "لا يحل لي من مغانمكم مثل هذه، إلا الخمس، والخمس مردود فيكم"... فلما تحولت الدنيا إلى ملك عضوض استمعنا إلى معاوية يقول: (الأرض لله وأنا خليفة لله، فما آخذ من الله فهو لي، وما تركته منه كان جائزاً لي..!) وهذا كلام باطل كل البطلان. ولكن السياسة التي لا دين لها حملت وزره، ولا تزال إلى يوم الناس هذا تنفذه في كثير من البلدان المسروقة أرضاً وشعباً..!"[(1)]

ويُحكى عن الحجاج قوله: "طاعتنا أوجب من طاعة الله، لأنه شرط في طاعته فقال فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وأطلق طاعتنا فقال وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ."[(2)] فالحجاج أستاذ في الدجل، وإمام في سفك الدم الحرام!

ويقول العلاّمة ابن تيمية: "وأيضا فكثير من أتباع بني أمية – أو أكثرهم – كانوا يعتقدون أن الإمام لا حساب عليه ولا عذاب، وأن الله لا يؤاخذهم على ما يطيعون فيه الإمام، بل تجب عليهم طاعة الإمام في كل شيء، والله أمرهم بذلك. وكلامهم في ذلك معروف كثير.

وقد أراد يزيد بن عبد الملك أن يسير بسيرة عمر بن عبد العزيز، فجاء إليه جماعة من شيوخهم، فحلفوا له بالله الذي لا إله إلا هو، أنه إذا ولى الله على الناس إماماً تقبل الله منه، الحسنات وتجاوز عنه السيئات.

لهذا تجد في كلام كثير من كبارهم الأمر بطاعة ولي الأمر مطلقاً، وأن من أطاعه فقد أطاع الله. ولهذا كان يضرب بهم المثل، يقال: "طاعة شامية".[(3)]

ولذا كان الشيوخ الشاميون يقولون: "إن الخليفة إذا استخلف غفر له ما مضى من ذنوبه."[(4)]

---

(1) [الإسلام والاستبداد السياسي، للشيخ محمد الغزالي]

(2) [تفسير الزمخشري. ج4، ص 95.]

(3) [منهاج السنة، ابن تيمية، ج6، ص430]

(4) [سير أعلام النبلاء للذهبي، ج6، ص76]

وفي تاريخ الخلفاء: "لما ولي يزيد بن عبد الملك بن مروان قال: سيروا بسيرة عمر بن عبد العزيز، فأتى بأربعين شيخًا فشهدوا له ما على الخلفاء حساب ولا عذاب."[1]

و"**الطاعة الشامية**" – سُنة الملك العضوض – هي أخت "الطاعة المسيحية" و"الطاعة الساسانية" و"الطاعة الفرعونية" حذو النعل بالنعل!

***

و"خطب المنصور [الملك العباسي] ببغداد في يوم عرفة، وقال قوم: بل خطب في أيام منى، فقال في خطبته: أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه وتسديده، وأنا خازنه على فيئه أعمل بمشيئته، وأقسمه بإرادته، وأعطيه بإذنه، قد جعلني الله عليه قفلاً، إذا شاء أن يفتحني لأعطياتكم، وقسم فيئكم وأرزاقكم فتحني، وإذا شاء أن يقفلني أقفلني"[2]

وهذا صنف آخر من أصناف الدجل! فالمال مال الله والمُلك كله لله وحده، والحُكام خلفاء فيه.. (يَأخذونه) كما أمر الله في كتابه وعلى سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، و(يُنفقونه) كما أمر الله في كتابه وعلى سنة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، والويل كل الويل لما يتَخوّض في مال الله، أو يأخذه بغير حق، أو ينفقه في غير حق:

عَنْ خَوْلَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "**إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**"[3]

عَنْ أَبِي الْوَلِيدِ، قَالَ: سَمِعْتُ خَوْلَةَ بِنْتَ قَيْسٍ، وَكَانَتْ تَحْتَ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "**إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ مَنْ أَصَابَهُ بِحَقِّهِ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَرُبَّ مُتَخَوِّضٍ فِيمَا شَاءَتْ بِهِ نَفْسُهُ مِنْ مَالِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَيْسَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا النَّارُ**"[4]

***

(1) [تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص184]

(2) [تاريخ الطبري/ (ج 8 : ص 371)، أنساب الأشراف]

(3) [صحيح البخاري/ 3118]

(4) [جامع الترمذي/ 2374، إسناده متصل، رجاله ثقات]

وإنَّ الحاكم الذي لا يَحكم بما أنزل الله ولا يُقيم الحق والعدل، ويسرق، ويقتل، ويستعبد الناس.. ليس ظل الله في الأرض، وليس سلطان الله في الأرض، بل هو مجرم طاغية جبار عنيد، خاب وخسر في الدنيا والآخرة، ولن يجد من يشفع أو يغفر له(1)، وإذا كان الله يغفر الذنوب (لمن يتوب)، فإن العباد لن تتنازل أبداً عن مثقال ذرة من حق اغتصبه المجرمون..

وواجب الأمة أن تأخذ على يد المجرم والطاغية والجبار العنيد، وتجبره على الحق، وتمنع ظلمه بكل وسيلة ممكنة، فالقرآن الكريم، والسنة النبوية اللفظية والعملية تؤكد ذلك بما لا يدع أي مجال للشك.

فعن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قال: "**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ**"(2)

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: "**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ السَّفِيهِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَيَلْعَنَكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ** "(3)

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: "**إِذَا رَأَيْتُمْ أُمَّتِي تَهَابُ الظَّالِمَ أَنْ تَقُولَ لَهُ إِنَّكَ أَنْتَ ظَالِمٌ، فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ** "(4)

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

"**تَكُونُ أُمَرَاءُ تَغْشَاهُمْ غَوَاشٍ، أَوْ حَوَاشٍ مِنَ النَّاسِ، يَظْلِمُونَ، وَيَكْذِبُونَ، فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ، فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَلَيْسَ مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَيُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَيُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ** "(5)

---

(1) [عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: "**صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَنْ تَنَالَهُمَا شَفَاعَتِي: إِمَامٌ ظَلُومٌ، وَكُلُّ غَالٍ مَارِقٍ**" (المعجم الكبير للطبراني/ 8079، إسناد حسن)]

(2) [جامع الترمذي/2168، إسناده متصل، رجاله ثقات]

(3) [مشكل الآثار للطحاوي/1163، إسناده متصل، رجاله ثقات]

(4) [مسند أحمد/ 6485، إسناده حسن]

(5) [مسند أحمد/ 10808، إسناده متصل، رجاله ثقات]

وعَنْ عَلِيٍّ، قَالَ:

"بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ سَرِيَّةً وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْمَعُوا لَهُ وَيُطِيعُوا، فَأَغْضَبُوهُ فِي شَيْءٍ، فَقَالَ: اجْمَعُوا لِي حَطَبًا، فَجَمَعُوا لَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَوْقِدُوا نَارًا فَأَوْقَدُوا، ثُمَّ قَالَ: أَلَمْ يَأْمُرْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ أَنْ تَسْمَعُوا لِي وَتُطِيعُوا، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَادْخُلُوهَا، قَالَ: فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَقَالُوا: إِنَّمَا فَرَرْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ مِنَ النَّارِ، فَكَانُوا كَذَلِكَ وَسَكَنَ غَضَبُهُ وَطُفِئَتِ النَّارُ،

فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: **لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**"[(1)]

وعن ابْنَ مَسْعُودٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ:

"سَيَكُونُ أُمَرَاءُ مِنْ بَعْدَي يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لا يَأْمُرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، لا إِيمَانَ بَعْدَهُ"[(2)]

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ يَقُولُ:

" خُذُوا الْعَطَاءَ مَا دَامَ عَطَاءً، فَإِذَا صَارَ رِشْوَةً عَلَى الدِّينِ فَلا تَأْخُذُوهُ، وَلَسْتُمْ بِتَارِكِيهِ يَمْنَعُكُمُ الْفَقْرُ وَالْحَاجَةُ، أَلا أَنَّ رَحَى الإِسْلامِ دَائِرَةٌ فَدُورُوا مَعَ الْكِتَابِ حَيْثُ دَارَ، أَلا إِنَّ الْكِتَابَ وَالسُّلْطَانَ سَيَفْتَرِقَانِ فَلا تُفَارِقُوا الْكِتَابَ، أَلا إِنَّهُ سَيكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يَقْضُونَ لأَنْفُسِهِمْ مَا لا يَقْضُونَ لَكُمْ، إِنْ عَصَيْتُمُوهُمْ قَتَلُوكُمْ، وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ أَضَلُّوكُمْ "، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ نَصْنَعُ؟ قَالَ: " كَمَا صَنَعَ أَصْحَابُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، نُشِرُوا بِالْمَنَاشِيرِ، وَحُمِلُوا عَلَى الْخَشَبِ، مَوْتٌ فِي طَاعَةِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ "[(3)]

---

(1) [صحيح مسلم/ 1841]

(2) [صحيح ابن حبان/ 177، إسناده متصل، رجاله ثقات]

(3) [حلية الأولياء لأبي نعيم/ 6895، إسناده حسن]

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: جاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يَتَقَاضَاهُ دَيْنًا كَانَ عَلَيْهِ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ حَتَّى قَالَ لَهُ: أُحَرِّجُ عَلَيْكَ إِلَّا قَضَيْتَنِي. فَانْتَهَرَهُ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا: وَيْحَكَ ! تَدْرِي مَنْ تُكَلِّمُ؟ قَالَ: إِنِّي أَطْلُبُ حَقِّي.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: "**هَلَّا مَعَ صَاحِبِ الْحَقِّ كُنْتُمْ** "، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى خَوْلَةَ بِنْتِ قَيْسٍ، فَقَالَ لَهَا: " إِنْ كَانَ عِنْدَكِ تَمْرٌ فَأَقْرِضِينَا حَتَّى يَأْتِيَنَا تَمْرُنَا فَنَقْضِيَكِ "، فَقَالَتْ: نَعَمْ، بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَأَقْرَضَتْهُ. فَقَضَى الْأَعْرَابِيَّ وَأَطْعَمَهُ، فَقَالَ: أَوْفَيْتَ أَوْفَى اللَّهُ لَكَ، فَقَالَ: "**أُولَئِكَ خِيَارُ النَّاسِ، إِنَّهُ لَا قُدِّسَتْ أُمَّةٌ لَا يَأْخُذُ الضَّعِيفُ فِيهَا حَقَّهُ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ** "(1)

فالأمة التي يتجبر فيها القوي، ويُستذل فيها الضعيف، ولا تنتصر له – وهي تستطيع – هي أمة ملعونة.

وآيات الكتاب وسلطانها المبين، تلاحق المجرمين بآيات الوعيد من كل لون، قال تعالى:

﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ١٥ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ١٦ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ١٧﴾ [سورة إبراهيم]

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ٥٠ لِيَجْزِيَ اللَّـهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ اللَّـهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ٥١ هَـٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ٥٢﴾ [سورة إبراهيم]

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ٤٩﴾ [سورة الكهف]

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَـٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ١٣ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ ۖ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٤﴾ [سورة السجدة]

(1) [سنن ابن ماجه/ 2426، إسناده متصل، رجاله ثقات]

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ٧٥ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ٧٦ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ٧٧ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ٧٨﴾ [سورة الزخرف]

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ٤٧ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ٤٨﴾ [سورة القمر]

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان (27)]

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر (52)]

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [الشورى (22)]

فكل من مضى عن سنة الفراعنة والطغاة – كائناً من كان – فله نفس مصيره: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر (46)]

فهؤلاء هم "الأئمة المضلين" الذين تخوف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ منهم على أمته فقال:

" وَإِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي إِلَّا الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، فَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ "[1]

***

(1) [مسند أحمد/27593، إسناده متصل، رجاله ثقات، رجاله رجال مسلم]

والحاكم الذي يحكم بما أنزل الله، ويأتي بالطرق الشرعية من شورى وعدل وحرية، ويَعدل بين الناس، ولا يسرق ثرواتهم، ولا يستبيح دمائهم، ولا يُفسد أخلاقهم، هو أيضاً ليس ظل الله في الأرض، وإنما هو حاكم عادل خَلف الأمة بالحق والعدل، وهو عبد لله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ له عظيم الثواب في الدنيا والآخرة.

وهذا "الإمام العادل" حقيق بالإكرام، والاحترام، والطاعة (في المعروف) لأنها من طاعة الله، فعَنْ جَابِرٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓءَالِهِۦوَسَلَّمَ: "**إِنَّ مِنْ إِكْرَامِ جَلالِ اللَّهِ، إِكْرَامُ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَالإِمَامِ الْعَادِلِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ، لا تَغْلُوا فِيهِ، وَلا تَجْفُوا عَنْهُ**"(1)

أما محاولة إضفاء أي صفة من قداسة على الحُكام بالمطلق هكذا، فهذا من أشد الباطل، والدجل، ومُضاهاة للذين كفروا من قبل – والعياذ بالله – الذين كانوا يُقدسون الملوك ويعتبرونهم من نسل الآلهة أو نواب عن الإرادة الإلهية!

***

يقول الشيخ الغزالي:

"وإني لا أعرف ديناً صبَّ على المستبدين سوط عذاب، وأسقط اعتبارهم، وأغرى الجماهير بمناوأتهم، والانتقاص عليهم كالإسلام، ولا أعرف مصلحاً أدب رؤساء الدول، وكبح جماحهم وقمع وساوس الكبرياء والاشتهاء في نفوسهم، كما فعل ذلك نبي الإسلام. لقد كسر القيود وحرّر العبيد. ووضع التعاليم التي تجعل الحاكم يتحرى العدل، والمحكوم يكره الضيم."(2)

أما دجاجلة الحكم الجبري فهم "دعاة على أبواب جهنم" وظيفتهم تعبيد الناس للطغاة، وشرعنة الطاغوت.. يتخذون من كتاب الله مطية لأهوائهم، ويُحرفون الكلم عن مواضعه، من أجل أن يتخذ الطواغيت الناسَ عبيداً من دون الله، ومن أجل أن يسرقوا ثروات الشعوب.. فهم (يستخدمون) دين الله، ليمسحوا به وسخ أسيادهم..

(1) [شعب الإيمان للبيهقي/ 2687، إسناد حسن]

(2) [الإسلام والاستبداد السياسي، ص 37]

وإنَّ الحكم في الإسلام لا يُقدس الملوك.. إنما يُقدس المبادئ والحقوق، والحُكام لهم السمع والطاعة ما أقاموا كتاب الله، واتبعوا سنة رسوله في سياسة الحكم والمال، فإن حادوا عن هذا الكتاب وهذه السنة، قومناهم تقويم القدح، ما استطاع المسلمون لذلك سبيلاً رشدا..

وإنَّ سلطان الله.. آيات الله، وفيها العدل والقيام بالقسط، ومحاربة الظلم والطغيان، والاستكبار في الأرض بغير الحق، لا يُعطي الشرعية أبداً لباطل، ولا يُقر على سوء..

بل هو الحق، كتابه الحق، وهديه الحق، جاء ليقوم الناس بالقسط، وجاء ليكون رحمة للعالمين؛ ليَرفع من كرامتهم، ويُحافظ على إنسانيتهم، ويُقر حقوقهم، ويُحررهم من عبادة الملوك، ويَمنع سرقة ثرواتهم، وتَعلو فيه كلمة الحق، ويُدمغ فيه الباطل.

هذا هو دين الله، ولكن عُباد الظالمين لا يعلمون!

***